البحث السابع عشر

أدب الأطفال عند أبي الحسن الندوي

نصر عبد الله سلامة العتوم (*)

(*) الجامعة الأردنية – كلية الحقوق.

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ

في هذا البحث محاولة جادة للتعريف بشخصية إسلامية من خلال أفكاره الرائعة في الدعوة والتربية واللغة والفكر والنفس؛ فهي شخصية المربي الفاضل أبي الحسن الندوي الأمين العام لندوة العلماء في مدينة لكهنؤ، ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، كرّم الله وجهه بنور الإسلام، هذه الشخصية قدمت لطفلنا المسلم تراثاً تاريخياً خالداً أعادت بريقه، ولمّعت جوانبه، هذه الشخصية تحدثت عن أمجاد أمتنا الإسلامية وسمو أخلاقها بأسلوب الداعية الصادق الذي تتدفق منه كلمات الدعوة ملتهبة، تحمل صدق العاطفة وسمو الروح، شخصية لسانها رطبٌ بالدعوة إلى الله، عزيمتها صلبة متمسكة بعرى الإيمان الوثقى.

لقد دفع الباحث إلى كتابة هذا البحث الغيرة على أطفالنا المسلمين، ومايحتاجونه من وعي تام لمعرفة تاريخهم الإسلامي الممتد منذ آدم عليه السلام حتى وقتنا هذا ، والرغبة الطامحة في استطلاعٍ لعقل طفلنا المسلم على الواقع الإسلامي قديماً وحديثاً، لأنه قبل التفكير في بناء الحضارة الإسلامية وجبَ تفكيرنا في الطفل المسلم الذي هو أساس هذه الحضارة، ثم بناء طفولته الإسلامية بناءً سليماً.

يحمل هذا البحث أهدافاً هي التعريف بشخصية الندوي، وفكره الأدبي للطفل، بالإضافة إلى ذلك، فإنه يهدف إلى حثّ آباء أطفالنا وأمهاتهم على

اختيار واعٍ لقصص الأطفال التي تكوّن هوية الطفل الإسلامية وتصقل شخصيته.

ومع هذا فقد واجه الباحث صعوبة كبيرة من حيث قلة المراجع للبحث وعدم وفرتها، فلم يستطع الباحث -على الرغم من جهده الشخصي- أن يعثر في المكتبات الأردنية على كتب أبي الحسن للأطفال سوى ثلاثة كتب هي: «قصص النبيين للأطفال» و«سيرة خاتم النبيين» و«قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال»، وعلى الرغم من هذا ، قام الباحث باستكشاف الأساليب التربوية واللغوية والفكرية التي يعالجها فكر أبي الحسن الندوي في أدب الأطفال.

. . . ولقد كان هذا البحث في ستة فصول، تتكلم في اللغة، والدعوة، والتربية الإسلامية، والجانب الفكري والنفسي، والثقافة الإسلامية، والاتجاه الإسلامي، محاولاً في ذلك إبراز عدة نواحٍ في الفكر واللغة والدعوة والتربية تهم أدب الطفل من خلال دراسة الباحث المتأنية لكتب أبي الحسن الندوي فيها.

. . . وفي الختام أستغفر الله من كل خطأ وزلل، وأدعو الله بالتوفيق، وحسبي الله ونعم الوكيل.

الفصل الأول

اللغة

يظهر اهتمام أبي الحسن الندوي في اللغة من خلال الأمور التالية:

١- الدعوة إلى الاهتمام باللغة العربية عند الطفل المسلم: هذا واضحٌ في كل قصصه وحكاياته عن التاريخ الإسلامي، تراهُ في جمله المتينة، وألفاظه السهلة، ومعانيه العذبة بما يتناسب وروح النص في سياق حديثه عن أي موضوع، أما الألفاظ فسهلة، تراها بعيدةً كل البعد عن الألفاظ الغريبة، وأما المعاني فعذبة، لأنها خصبة بالروح الإسلامية، وأما الجمل فمتينة، وترابطها يدل على متانتها، حتى تكاد أن تكون قصصه موسوعة طفل غنيّة بمفردات اللغة العربية. وهي سمة أصيلة في منهج أديبنا الإسلامي أبي الحسن الندوي.

٢- البعد عن الخيال الوهمي في أدبه مع الطفل: ولا شكّ في هذا لأنه يروي تاريخاً، لا سيّما أن التاريخ الإسلامي هو حقائق ثابتة سجلها القرآن الكريم والسنة النبويّة، ودوّنتها انتصارات المسلمين الرائعة على مر الأيام، فقصص الأنبياء كقصة إبراهيم وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام هي حقائق ثابتةٌ ذكرها القرآن، لا يمحوها زيف زائف أو عبث عابث، فالأدب الذي يكتبه الندوي للطفل هو الأدب المسلم، إذ يتسم بالحقيقة والثبات، وهذه سمة بارزة في أدب أبي الحسن الندوي.

٣- استخدام الأساليب اللغوية في أدبه مع الطفل: فتراه يستخدم صيغ الاستفهام أسلوباً عندما يرغب في البرهنة على صحة كلامه أو عند تقرير أمر ما، وهذا الأسلوب يفيد عدة معانٍ منها الاستنكار كقوله: «وقال للأصنام: ألا تتكلمون ؟ ألا تسمعون ؟»[١].

(١) أبو الحسن الندوي ؛ قصص النبيين ، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة عشرة، ١٩٩٣، ص١٢.

ومنها التقرير كقوله: «ألا يستحق أهل السجن الرحمة؟ أليس أهل السجن عباد الله» [١].

- كما أنه يستخدم أسلوب الحوار حينما تكون الأحداث بحاجة ماسة إلى هذا الأسلوب، فالحوار يضفي على النص روحاً وحماسة تستنشط همة القارئ، وتدفعه إلى إتمام القراءة، كما أنها تبين طريقة للتعامل مع الناس في الكلام والمناقشة، فالحوار أسلوب مهم في الدعوة، وهذا ما أكده شيخنا الكبير أبو الحسن الندوي، نذكر منها موقف سيدنا إبراهيم عليه السلام من الملك[٢].

- والأسلوب التكراري للجمل والمفردات هو أيضاً من الأساليب التي استخدمها أبو الحسن في أدب الأطفال، فالتكرار يثبت في ذهن القارئ المعاني التي يريدها ويبيّن أهميتها، فيوفي الفكرة حقها، ويشبع جوانبها، وخير مثال على ذلك ما يلي:

«وكان آزر له ولد رشيد، رشيد جداً، وكان اسم هذا الولد إبراهيم، وكان إبراهيم يرى الناس يسجدون للأصنام، ويرى الناس يعبدون الأصنام، وكان إبراهيم يعرف أن الأصنام حجارة» [٣].

٤- التركيز على الحدث الماضي: لجأ الندوي إلى الماضي وقدم قصصه بأسلوب عصري يناسب الطفل المسلم، ويبدأ أبو الحسن كل قصة من قصصه بالفعل الماضي، ومن الأمثلة على ذلك:» كان يوسف ولداً صغيراً، وكان له أحد عشر أخاً» [٤] «وجاء على عرش مصر ملك جبار جداً» [٥].

فالأطفال عادة يحبون سماع قصص الماضي لأنهم يجدون بها ذوقاً رفيعاً وحلاوةً عجيبة. لأن الحديث عن الوقائع في الزمان الماضي أسهل من الحديث

(١) المرجع السابق، ص٤٣.
(٢) المرجع السابق، ص٢٠-٢١.
(٣) المرجع السابق، ص١٠.
(٤) المرجع السابق، ص٣٠.
(٥) المرجع السابق، ص١٤٣.

عن الوقائع في الزمن الحاضر، ولأن هناك صعوبات تحول دون الحديث عن الوقائع الحاضرة.

٥- **الجوانب الحيوية ذات العلاقة الحية مع اللغة:** وهذه من الأمور التي راعاها أبو الحسن في أدبه مع الطفل.

- فاختيار العنوان الملائم للقصة، هو المفتاح الذي يدل على ماهيتها، وهذا ما سيتحدث عنه الباحث في فصل لاحق إن شاء الله تعالى.
- واستخدام الترقيم له فائدة مرجوة، هي محاولة تدريب الطالب على علامات الترقيم، وأوقات استخدامها وفوائدها.
- كما أن التبويب لكل قصة أمر ضروري، لأن الطفل يثقل من الحشو دون أرقام وأبواب، وما يلاحظه الباحث أن الباب يحتوي على فكرة يمكن أن تتلخص في سطر أو سطرين، لكن أبا الحسن يكرر الفكرة في أكثر من قالب لغوي رائع، فيجد الطفل في ذلك متعة وتشويقاً أكثر.

obeikandl.com

الفصل الثاني

الدعـوة

يجعل أبو الحسن الندوي من قصصه مناخاً للدعوة، يعيش الطفل في حرارتها المناسبة، إذ يعتبر أبو الحسن الدعوة عنده هدفاً رئيساً من أهداف أدب الأطفال، ويبدو هذا من خلال استعراضه الفعلي لآداب وأساليب وأسرار الدعوة، فيحسُّ الطفل وهو يقرأ بأن الأفكار والمعاني أحياءٌ تتحرك على الأرض، وهذا يظهر من خلال الأمور التالية:

أولاً: يكشف عن آداب الدعوة الإسلامية التي يحتاجها الداعية في كلِّ زمان ومكان. فأبو الحسن داعية إسلامي له في مجال الدعوة باع طويل. إذ يكشف للطفل المسلم عن آداب الدعوة الإسلامية، ويظهر ذلك من خلال فهمه الرائع لمفردات القرآن ومعانيه، وآياته المتناسقة، فيؤكد أن هذه الآداب هي سلعة الدعوة التي يهبها للناس على اختلاف عقائدهم وتصوراتهم عن الحياة، ومن الضروري أن نؤكد على أن هذه الآداب هي هبة الله للدعاة المؤمنين على مر الأزمنة وفي جميع الأمكنة. وهذه الآداب التي يكشف عنها أبو الحسن في معرض حديثه عن قصص الأنبياء والرسل، تجعل من الطفل خامة خصبة للدعوة -إن صح التعبير- وفي التعبير العلمي «مادة أولية للدعوة» فيؤكد أن هذا الطفل هو اليوم شبل، وغداً هو الداعية.

وهذه الآداب التي يكشف عنها تتبين من خلال النماذج العظيمة من دعوة الأنبياء والصالحين التي وردت في قرآننا العظيم، أو من خلال النماذج الكريمة من دعوة الصحابة والتابعين، والفاتحين من أبطالنا المسلمين التي سطرتها صفحات تاريخنا الإسلامي المضيء.

١- آداب الدعوة التي تتكشف من خلال النماذج الطاهرة من دعوة الأنبياء والصالحين والتي وردت في قرآننا الكريم، نذكر منها:

أ- نموذج من دعوة إبراهيم عليه السلام: يقول الله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ﴾[١]. ﴿يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ﴾[٢]. إن كلمة «يا أبت» فيها إثارة للحنان الأبوي[٣]، وهذا أدب عظيم مع الوالدين يعرضه أبو الحسن للأطفال، فدعوة الوالدين تحتاج إلى إثارة العاطفة والشفقة والرأفة.

﴿يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ يا أبت اعبد الرحمن وغَضِبَ والد إبراهيم وقال: أنا أضربك، فاتركني ولا تقل شيئاً، وكان إبراهيم حليماً[٤].

ب - نموذج من دعوة سيدنا يوسف عليه السلام: يقول الله تعالى: ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[٥] هذه الآيات تعرض نموذجاً من دعوة يوسف عليه السلام، قام أبو الحسن بتجزئتها والتعليق عليها، حيث أكد أن الحكمة هي مفتاح الدعوة، ومن الحكمة في الدعوة حسن افتتاح الحديث[٦]. فيُطَمْئن سيدنا يوسف صاحبيه في السجن؛ ليمهد بعد ذلك الجو المناسب للدعوة فيقول لهما: ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي﴾ «فجلسا واطمأنا ثم قال لهما يوسف:

---

(١) مريم: ٤٢ .

(٢) مريم: ٤٤ .

(٣) أبو الحسن الندوي، روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة، الكويت، دار القلم، الطبعة الثانية، ١٩٨١، ص ٢٠ .

(٤) أبو الحسن الندوي، قصص النبيين للأطفال، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣، ص٢١-٢٢ .

(٥) يوسف: ٣٧-٣٩ .

(٦) أبو الحسن الندوي، روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة، الكويت، دار القلم، ص٢،١٩٨١، ص٣٧ .

أنا عالمٌ بتأويل الرؤيا، ذلكما مما علمني ربي، ففرحا واطمأنا، وهنا وجد يوسف الفرصة فبدأ موعظته» [١].

ثم يشرح لهما دعوته بعد أن اطمأنّ إليهما وهيأ قلوبهما:

﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ أين رب البر، ورب البحر، ورب الرزق، ورب المطر؟» [٢].

«وكان لو قدّم هذا قبل ذلك الكلام، لكان ثقيلاً على آذانهما وعلى قلوبهما» [٣] «وهناك شعر سيدنا يوسف بأن الفراغ الذي وجد في قلوبهم قد ملئ، وليس من الحكمة الآن أن يطيل الكلام ويتوسع في الحديث عن التوحيد، والطبيب النطاسي يعرف مقدار الوجبة من الدواء، ومدى صلاحية المريض وحاجته، فلا يزيد عليها، إنها طريقة الداعي الملهم» [٤].

«ولمّا فرغ يوسف عن موعظته أخبرهما بتأويل الرؤيا» [٥].

جـ- نموذج من دعوة سيدنا محمد ﷺ: يعرض أبو الحسن هذا النموذج في باب خاص تحت عنوان: «الدعوة جهاراً على جبل الصفا»، فيوضح للطفل أن النداء أسلوب من أساليب الحماسة في الدعوة، يستثير همم الرجال ويستقطب أنظارهم وعقولهم، ومثال ذلك ما أورده الندوي قائلاً: فخرج ﷺ وصعد على جبل «الصفا»، ونادى بأعلى صوته: «يا صباحاه» وكانت صيحة معروفة مألوفة، كلما أحس إنسان بخطر عدو، يغير على بلد، أو على قبيلة، على غفلة منها نادى «يا صباحاه» فلم تتأخر قريش عن تلبية هذا النداء [٦]

(١) أبو الحسن الندوي، قصص النبيين للأطفال، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط الثامنة عشرة، ١٩٩٣، ص٤٤-٤٥.
(٢) المرجع السابق. ص٤٦.
(٣) أبو الحسن الندوي، روائع أدب الدعوة في القرآن والسيرة، الكويت، دار القلم، ط٢، ١٩٨١، ص٤٣.
(٤) المرجع السابق، ص٤٤-٤٥.
(٥) أبو الحسن الندوي، قصص النبيين للأطفال، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١٨، ١٩٩٣، ص٤٧.
(٦) أبو الحسن الندوي، سيرة خاتم النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط الثالثة عشرة، ١٩٩٤، ص٥٢-٥٣.

كما يوضح للطفل أن الصدق أساس الدعوة، وأن الرجل الصادق هو الرجل الداعية، يقول أبو الحسن الندوي:» كان العرب واقعيين عمليين، إنهم رأوا رجلاً جربوا عليه الصدق والأمانة والنصيحة.. فهداهم ذكاؤهم وإنصافهم إلى تصديق هذا الخبر الأمين الصادق» (١).

إلى جانب ذلك يوضح الندوي للطفل المسلم أن الداعية سيجد المعارضة والمقاومة حتى من أقرب الناس إليه، لأن دعوة الحق ثقيلة على النفوس، تعني الاستعلاء على كل ضغوط شهوات الحياة الدنيا، وقد أكده الندوي بقوله: فسكت الناس، ولكن أبا لهب قال: تباً لك سائر اليوم، أما دعوتنا إلا لهذا؟ (٢).

٢- آداب الدعوة التي تتكشف من خلال النماذج الزكية، من دعوة الصحابة والتابعين والفاتحين المسلمين التي سطرتها صفحات تاريخنا الإسلامي، ودوّنتها بطون الكتب والسير المليئة بالعظماء الماجدين.

أ- نموذج من دعوة جعفر بن أبي طالب للنجاشي ملك الحبشة:

هذا النموذج لوحة رائعة بالغة، روعتها في دقة الوصف وحسن الجمال، فأبو الحسن إذ يكتب كلام جعفر بن أبي طالب بالكامل، ويضع لكلام جعفر أمام النجاشي عنواناً رائعاً يطلق عليه اسم: «تصوير جعفر بن أبي طالب للجاهلية وتعريفه بالإسلام»، ثم يبين خيبة مسعى الكافرين بقوله: «خيبة وفد قريش» فأبو الحسن في هذا النموذج يبين كيفية الدعوة في بلاط الملوك والسلاطين قائلاً: «يقول أصحاب السير: سمع النجاشي كل ذلك في هدوء ووقار، ولعل ما أبداه جعفر من الثقة بعدله، وحسن جواره كان عوناً على ذلك،

(١) المرجع السابق، ص٥٣-٥٤.
(٢) المرجع السابق، ص٥٤.

والملوك العقلاء يحرصون دائماً على حسن الصيت وطيب القالة وتحقيق حسن الظن بهم»[١].

ولعل مقصد أبي الحسن من إيراد هذا الخطاب كاملاً هو بيان ظلم الجاهلية ونظافة الإسلام، وتقرير ذلك في نفس الطفل وقلبه وعقله، وكأن لسان حال الندوي يقول: تعالوا! انظروا هذا ظلم الجاهلية، وهذه عدالة الإسلام وطهارته.

كما يبين أبو الحسن للطفل المسلم من هو عيسى ابن مريم الذي يؤلهه النصارى ويعبدونه! يوضح ذلك من خلال كلام جعفر للنجاشي: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. ولاشكَّ أن هذا تمرين من أبي الحسن للطفل المسلم صاحب العقيدة الصلبة والنبع الصافي، يعلم فيه الطفل كيفية الرد على النصرانية عقيدة الصليب والشرك.

ب- نموذج من جواب كان السبب في إسلام مئات الألوف من الناس: هذه القصة تروي حكاية لحوار لطيف بين الملك التتري تغلق تيمور وبين الشيخ جمال الدين الفارسي، تمخّض الحوار بينهما عن اقتناع الأمير بالإسلام، وقد أسلم على يد هذا الملك -بعد تسلمه الحكم- الأمراء كلهم، ودخل التتار المتوحشون في الإسلام واعتنقوه، وأصبحوا قادة فتح إسلامي بعد أن كانوا دماراً للإسلام والمسلمين. ويبين أبو الحسن في هذه القصة أسلوب الداعية الشيخ الفارسي في الحوار الذي كان سبب إسلام الملك التتري[٢].

---

(١) أبو الحسن الندوي، روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة، الكويت، دار القلم، الطبعة الثانية، ١٩٨١، ص١٢٤.

(٢) انظر: أبو الحسن الندوي، قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، ص١١٤-١٢٣.

ثانياً: يكشف عن أسرار الدعوة الإسلامية:

١- **«فالقرآن كتاب هداية ودعوة قبل أن يكون كتاب أحكام وشريعة»** [١] فتراه يبعد كثيراً عن الأحكام الفقهية الشرعية، لأن المقصود من كتبه للأطفال هو دعوتهم إلى التمسك بإسلامهم والدعوة إليه، وهذا مما لا شك فيه، لأن أبا الحسن داعية، فكتبه التي تتكلم عن سيرة الأنبياء، والصالحين ودعوتهم، إنما المقصود منها هو دعوة لأطفالنا المسلمين، إلى الإقتداء بأخلاق أولئك الدعاة من الأنبياء الكرام والصالحين العظام، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

٢- **ومن أسرار الدعوة التي يكشف عنها أبو الحسن هي أن «الدعوة لا يمكن أن تخضع لقوانين مرسومة، وتقيّد بها»** [٢]، فالدعوة تعتمد على قوة الشخصية في الكلام وفي سرعة البديهة، واستحضار الفكرة في الذهن، فهو يحاول تنشيط ذاكرة الطفل، ويوفّر له آداب الدعوة وأسرارها ووسائلها المتاحة؛ ليهيئه في يوم ما كداعية يستطيع أن يتأقلم مع الظروف المحيطة بالدعوة، فيبين له أن الدعوة في السجن لها كيفيتها واختلافها عن الدعوة في القصر، مثلاً، وأن الدعوة في مكان يقطن فيه آلاف السحرة، يختلف مثلاً عن الدعوة في مكان يقطنه عباد العجل، وأن الدعوة في زمن سابق، تختلف عن الدعوة في زمن لاحق لاختلاف الظروف المستجدة، والمستحدثة في كلا الزمنين، لذا يجب مراعاة الكيفية اللازمة للدعوة من حيث اختلاف ظروف زمانها ومكانها.

٣- **ومن أسرار الدعوة أيضاً أن لها مساحة زمانية ومساحة مكانية** [٣]، فالتوحيد دعوة الأنبياء جميعاً، وسيدنا محمد ﷺ، كانت لدعوته مساحة

(١) أبو الحسن الندوي، روائع من أدب الدعوة في القرآن، والسيرة، الكويت، ط٢، دار القلم، الطبعة الثانية، ١٩٨١، ص١٠.
(٢) المرجع السابق. ص١١.
(٣) المرجع السابق. ص١٣.

زمانية إلى يوم القيامة، ومكانية هي الأرض جميعاً، بينما كانت دعوة الأنبياء لها مكان محدد في أقوام معينة وزمان محدد، يبدأ ببداية دعوة النبي المؤسس، وينتهي بوفاة ذلك النبي، وقد أكد على هذه النقطة العلامة أبو الحسن الندوي، والشواهد على ذلك كثيرة، وتسميته» سيرة خاتم النبيين» عنواناً لكتابه تأكيد ينُبِّه أن دعوة سيدنا محمد ﷺ هي دعوة باقية إلى آخر الزمان لأنه خاتم المرسلين. يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

٤- ومن أسرار الدعوة أنها لا تتم بالسيف والقوة، وإنما بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (١). فالدعوة عامة تشمل هذه المعاني كلها، وهذه الأساليب كلها، ثم قال: ﴿إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ وأي كلمة أوسع أفقاً وأعظم إطلاقاً من قوله تعالى: ﴿سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ إن الحكمة -الكلمة البليغة العربية التي جاءت في الآية - لا أعتقد أنها من الممكن ترجمتها أو نقلها إلى لغة أخرى، وكذلك الموعظة كلمة مطلقة، والحسنة أيضاً كلمة مطلقة، وهنا جاء القرآن ليحل هذه المشكلة فأطلق وقيد، وأوجز وأعجز، فقال: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ الآية (٢). وعلى سبيل المثال دعوة سيدنا إبراهيم مع الملك النمرود، فكانت دعوته مؤسسة على الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن» (٣).

فمجرد أن يكشف الداعية هذه الأسرار اللطيفة سرعان ما يتبين له حلاوة الدعوة وإن صعبت، ولطافتها وإن توعرت مسالكها، هذه سنة الله في الدعوة، كُتب عليها أن تشهد صراعاً بين الحق والباطل، بين الخير والشر، بين الإسلام والجاهلية.

---

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) أبو الحسن الندوي، روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة، الكويت، دار القلم، ط٢، ١٩٨١، ص١٤-١٥.

(٣) المرجع السابق، ص١٦.

ثالثاً: يكشف عن أنواع للدعوة الإسلامية:

من خلال دراستي لقصص النبيين تبين لي أن الشيخ أبا الحسن قد وضَّح للطفل أنواعاً من الدعوة، تعتمد على الظروف الملائمة في البيئة الملائمة، فالدعوة السرية تبدأ في بيئة جغرافية خالية من الأفكار التي تنادي بها هذه الدعوة، ثم تحتاج هذه الأفكار إلى حَمَلة يعتنقونها ويدينون بها ويتحملون تبعاتها، هم الأرض التي تنمو الأفكار عليها، وحتى تحيا هذه الأفكار في قلوب حامليها، يجب أن يكون هناك مناخ يلائمها تستقي منه أشعة النور والضياء، فالأفراد (الأرض)، والمناخ (الشريعة والنظام الرباني)، والأفكار هي عناصرٌ أساسية لإرساء قواعد الدعوة والنهوض بها إلى الأعلى. وحتى تعيش هذه العناصر ويكتب لها النجاح لا بد من أن يتوافر لها شرط لازم وضروري هو السرية في هذه الدعوة، هذه السرية واجبة حتى لا تجهض في حينها، وتنتهي حيث ولدت، ولهذا فإن الدعوة السرية هي مرحلة مخاض لولادة دعوة قوية مؤثرة، تكون فيها الآلام نتيجة طبيعية وحتمية لهذا المخاض، وقد بين أبو الحسن هذه الدعوة حينما تحدث عن دعوة الرسول ﷺ السرية والتي دامت ثلاث سنوات، ثم تكون بعد ذلك الدعوة الجهرية - العلنية حيث تبدأ حين استكمال العناصر والشروط الأساسية لوجود الدعوة واستمراريتها، وخطبة الرسول في قريش على جبل الصفا خير شاهد على ذلك، وهنا يؤكد أبو الحسن لأطفال المسلمين أن الدعوة تتعرض لهزات عنيفة ومصادمات قاسية، وأن الداعية هو الذي سيدفع الآلام والأوجاع ثمناً لاعتناقه أفكار الدعوة ومبادئها، كما يؤكد الندوي من خلال عرضه للقصص أن نجاح الدعوة يؤسس على نجاح السرية فيها. وحتى يُكتب ذلك النجاح فإن من الواجب أن يكون التنظيم سرياً والدعوة علانيةً، فالسرية في التنظيم والعلانية في الدعوة.

كما يؤكد أبو الحسن أن أنواع الدعوة تختلف باختلاف أزمنتها وأمكنتها وبيئاتها والظروف المحيطة بها، كدعوة يوسف في السجن، ودعوة موسى لفرعون في قصره، ودعوة محمد ﷺ لقريش في مكة.

رابعاً: إعداد الطفل كداعية إسلامي إعداداً أولياً:

فاستعراض أبي الحسن الندوي للنماذج الحية من دعوة الأنبياء والصالحين هي دعوة لأطفال المسلمين أن يصبحوا دعاة الله في الأرض. ففي هذه النماذج من تلك الدعوات المرحلة الإعدادية للطفل كداعية، إذ تؤسس فيه عمل الدعوة وتحرك فيه دوافعها. فالنماذج التي تحدث عنها الباحث من دعوة سيدنا إبراهيم، ويوسف، ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وجعفر بن أبي طالب هي لوحات رائعة للأطفال في حقل الدعوة، ودعوة فريدة لأطفالنا المسلمين في الالتحاق بقافلة الدعاة إلى الله، وكأنها همسات في آذان أطفالنا أن يتمثلوا هذا النهج العظيم من الدعوة إلى الله، ويسلكوا طريق الدعوة يرفعون راية التوحيد عالياً: «لا إله إلا الله».

الفصل الثالث

التربية الإسلامية

يقدم أبو الحسن الندوي في بداية كتابه قصص النبيين -القسم الأول نصيحة لابن أخيه «محمد» مملوءة بالحرص والوعي لمستقبل ابن أخيه من جهة، وبالندم والخجل من القصص العربية من جهة أخرى. نصيحة بدراسة قصص الأنبياء وتعلم اللغة العربية، يقدم هذه النصيحة التربوية التي تحمل في ثناياها كل الأسف والخجل من القصص العربية التي لا تتكلم إلا عن الحيوانات والأساطير والخرافات، فيقول: «ابن أخي العزيز! أراك حريصاً على القصص والحكايات.. ولكني أتأسف لأني لا أرى في يدك إلا حكايات السنانير والكلاب والأسد والذئاب والقردة والذباب.. ولكني أخجل أنك لا تجد ما يوافق سنك من القصص العربية، إلا قصص الحيوانات، والأساطير والخرافات، فرأيت أن أكتب لك ولأمثالك أبناء المسلمين قصص الأنبياء والمرسلين عليهم صلاة الله وسلامه بأسلوب يناسب سنك وذوقك ففعلت» [1].

ومع هذه النصيحة يقدم كتابه «قصص النبيين» هدية له ولأطفال المسلمين، هذه المقدمة على الرغم من قصرها إلا أنها على جانب عظيم من التربية والتعليم لأطفالنا المسلمين يوازيها شرف الداعية والمربي الحريص على مستقبل الطفل المسلم وغده المجهول، إضافة إلى ذلك فإن كتاب قصص النبيين القسم الثالث (سيرة خاتم النبيين) جاء ليجذر أصول التربية الإسلامية، ويعمق قواعدها، وقد أكد على هذا المعنى قائلاً: «وقد جاءت فيه خلاصة السيرة ولبابها، وروائع حكاياتها وأخبارها، وتاريخ الدعوة الإسلامية

(١) أبو الحسن الندوي، قصص النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة عشرة، ١٩٩٣، ص٦.

الأولى وفتوحها وانتصاراتها، وعجائب التربية النبوية ومعجزاتها، فأصبح الكتاب مدرسة كاملة، ينشأ فيها الطالب بين إيمان وحنان، ويتقلب بين روحٍ وريحان» [١].

ومن خلال دراسة الباحث لأدب الطفل التربوي لدى الداعية أبي الحسن، يستطيع الباحث أن يوضح الأهداف التربوية التي يؤكد عليها المربي الداعية الشيخ أبو الحسن الندوي وهي مايلي:

١- التدرج في الأسلوب التربوي للناشئة حسبما تقتضيه درجتهم العقلية، وأكد أبو الحسن هذا الهدف قائلاً: «ولم أتقيد في هذا الكتاب بالالتزامات التي التزمتها في الأجزاء الأولى من «قصص النبيين للأطفال» من محاكاة أسلوب الأطفال، وطبيعتهم وتكرار الجمل، وسهولة الألفاظ، وبسط القصة، فقد شبّ هؤلاء القراء الصغار عن طوقهم ، وتقدموا في ثقافتهم اللغوية وقدرتهم العقلية.. وهكذا جاء الكتاب -بحول الله تعالى- وسطاً بين الكتب التي ألفت في السيرة للكبار التابعين، والكتب التي ألفت للصغار الناهضين..» [٢].

وهنا لا بد أن يشير الباحث إلى أن المربي الفاضل أبا الحسن الندوي كان بعيداً تمام البعد عن تناول الأحكام الشرعية الفقهية؛ لأنها ليست موضوعاً للبحث في هذا المستوى من الناشئة.

٢- غرس مكارم الأخلاق الإسلامية في كيان الطفل ودعوته إلى التمسك بها. هذه الغراس يقطف الطفل منها ثمار العقيدة الصحيحة المعافاة من العلل والأمراض، فالدين الإسلامي دين أخلاق. يقول الرسول الكريم ﷺ **«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**. فهو الدين الوحيد الذي ينظم أخلاقاً للحكم والخلافة والحروب، حتى دخول الحمّام وإماطة الأذى عن الطريق، ينظم لها

(١) أبو الحسن الندوي، سيرة خاتم النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١٢، ١٩٩٣، ص٥.
(٢) المرجع السابق. ص٥.

أخلاقاً وسلوكاً ينبع من النهج الرباني والتصور الإسلامي للحياة والكون. فمعظم قصص الندوي تركز على الأخلاق، حتى إن كتابه «قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال» يحكي في كل قصة خُلقاً إسلامياً عظيماً، حتى يستطيع الباحث لو طلب منه ذلك أن يضع له عنواناً يطلق عليه اسماً جديداً هو «صورة مجيدة من الأخلاق الإسلامية في التاريخ الإسلامي للأطفال». لأن الأخلاق أمجاد تاريخ عابق بالنفس الطيبة والروح الزكية.

وقد أعرب أبو الحسن عن هذه المعاني السامية في الأخلاق الكريمة، ونذكر هنا شواهد على ذلك:

أ- **الصبر:** يظهر هذا الخلق من خلال قصة صبر أيوب عليه السلام:

«فقد كان له من الدواب والأنعام والحرث شيء كثير وأولاد مرضية، فابتلي في ذلك، وذهب عن آخره، ثم ابتلي في جسده، لم يبقَ منهُ سليمٌ سوى قلبه ولسانه، يذكر بهما الله عز وجل.. وكان رغم ذلك صابراً شاكراً» (١).

ب - **التفاني في حب ﷺ** وله مظاهر كثيرة، منها فداء الصحابة الكرام لرسول الله في غزوة أحد كأبي عبيدة وطلحة وأبو دجانة، وسعد:

«نزع أبو عبيدة بن الجراح إحدى الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ فسقطت ثنيته، ونزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى... وترّس أبو دجانة.. بنفسه دون رسول الله ﷺ، يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه.. ورمى سعد ابن أبي وقاص دون رسول الله ويناوله رسول الله ﷺ النبل، ويقول: إرمِ فداك أبي وأمي، .. وجالدهم طلحة بن عبيد الله، عليه بيده يقي بها رسول الله ﷺ، فأصيبت أنامله، وشلّت يده» (٢).

---

(١) أبو الحسن الندوي، قصص النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة. ط١٨، ١٩٩٣، ص٣٢٣-٣٢٤.

(٢) أبو الحسن الندوي، سيرة خاتم النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٩٩٣، ص١٦٣-١٦٤.

جـ- **العزة بالإيمان:** ويظهر هذا في رحلة سيدنا عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس «وقال له رئيس القوم (المسيحيين) أنت ملك العرب، وهذه بلاد لا تصلح بها الإبل، فلو لبست شيئاً غير هذا، وركبت برذوناً لكان أعظم في أعين الروم، فقال: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فلا نطلب بغير الله بديلاً» (١).

د- **الرحمة:** ويتجلى هذا الخلق في فتح مكة: « ثم قال رسول الله ﷺ: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخٍ كريم، قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء» (٢).

٣- **الحث على حب العلم وتعلمه ودعوة الطفل إلى طلبه:** فالدين الإسلامي مؤسسة علمية، فأول ما نزل من القرآن آيات تحث على طلب العمل، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾. وأبو الحسن كعالم وداعية إسلامي لا بد له من أن يؤكد على هذا المطلب، ويظهر ذلك من خلال كتبه، ومن الشواهد الدالة على ذلك:

أ- **قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر،** حيث أفرد لها أبو الحسن عنواناً خاصاً بها هو «في سبيل العلم»، هذا العنوان يحمل في طيّاته أدباً للعلم والتعلم، ألا وهو أن العلم لله وأن الله هو العليم، ويجب أن يُرد العلم إليه. عن النبي ﷺ، أنه قال: « قام موسى خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم ؟ فقال: أنا أعلم، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله، فأوحى الله إليه أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك» (٣).

---

(١) أبو الحسن الندوي، قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، ص٩٤.

(٢) أبو الحسن الندوي، سيرة خاتم النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، بالطبعة الثالثة عشرة، ١٩٩٣، ص٢٧٥.

(٣) أبو الحسن الندوي، قصص النبيين للأطفال، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة عشرة، ١٩٩٣، ص٢٧٤-٢٧٥.

ب - ومن الشواهد أيضاً على دعوة الندوي لطفلنا المسلم إلى طلب العلم هو ما أكده تحت عنوان: «تعليم غلمان المسلمين فداء الأسرى» ، قائلاً: وكان من الأسرى من لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ «فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، فيعلم كل واحد عشرة من المسلمين الكتابة، وكان زيد بن ثابت ممن تعلم بهذا الطريق»[١].

٤ - تحرير عقل الطفل المسلم وقلبه من الأساطير والخرافات وضغوط شهوات الحياة الدنيا: وهذا التحرير لعقل الطفل هو تحرير من الجاهلية وكل تبعاتها، وهذا الهدف يظهر من خلال الشواهد التالية التي أكد عليها أبو الحسن في قصصه يبدو منها ما يلي:

أ- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار: «وآخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، آخى بينهم على المواساة، وكان الأنصار يتسابقون في مؤاخاة المهاجرين» [٢] فالمؤاخاة من أعظم الأحداث التي سجلها التاريخ البشري على وجه الأرض منذ آدم حتى الآن، وستبقى خالدة إلى يوم القيامة.

ب - تطهير الحرم من الأوثان والأصنام: «وحول البيت وعليه ثلاث مئة وستون صنماً فجعل يطعنها بالقوس ويقول: ﴿.. جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، ورأى في الكعبة الصور والتماثيل فكسرت» [٣].

جـ - زهد القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي في الدنيا وشهواتها: «يقول ابن شداد: إن السلطان لم يخلف في خزانته من الذهب والفضة إلا سبعة

(١) أبو الحسن الندوي، سيرة خاتم النبيين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٩٩٣، ١٥١-١٥٢.
(٢) المرجع السابق، ص١٢٥.
(٣) المرجع السابق. ص٢٧٢.

وأربعين درهماً ناصرية وجراماً واحداً ذهباً ولم يخلف ملكاً، ولا داراً، ولا عقاراً، ولا بستاناً، ولا مزرعة، ولا شيئاً من أنواع الأملاك»[١].

٥ - تنمية الروح الجهادية والنفس المطمئنة للطفل المسلم. ففي كل قصصه عن الأنبياء وحكاياته عن التاريخ الإسلامي، دعوة إلى الجهاد وحب الاستشهاد، وترغيب الطفل في الشهادة في سبيل الله، لأن الجهاد في سبيل الله هو المخزون الفعلي للطاقة الإسلامية من أشبال الإسلام الذين هم حراس العقيدة وحماة الديار، فالشهادة في سبيل الله هي أمنية الأحرار المؤمنين الذين يشترون جنة عرضها السموات والأرض، ويقدمون أرواحهم الطاهرة ثمناً لها، ففي الجهاد تعبئة روحية ونفسية لطفلنا المسلم أعظم من البحار، وأثبت من الجبال، فالشهادة محركة للطاقات، شاحذة لهمم الرجال، لأنهم بعقيدتهم الراسخة في قلوبهم، يعتبرونها الجسر الذي يمرون عليه ليصلوا إلى برِّ الأمان، ينتقلون عليها من الحياة الدنيا ليصلوا إلى وطنهم الخالد جنة الأتقياء الأنقياء المخلصين. وقد أكد هذا المعنى السامي أبو الحسن الندوي تأكيداً واضحاً ومميزاً في معظم قصصه وحكاياته، والأدلة على ذلك كثيرة، نذكر منها التالية:

أ - تنافس الغلمان في الجهاد والشهادة في غزوة بدر: هذه لوحة جميلة تصور التربية الحلوة والطفولة الرفيعة بتسابق الأطفال وتنافسهم على الموت. نعم لقد غرس فيهم الإسلام مبدأً عظيماً، ذلك هو الشهادة التي هي تذكرة لدخول الجنة، وثمن لها، هؤلاء الأطفال يعلنون الحاكمية لله في الأرض، تتوهج قلوبهم بعقيدة التوحيد، هذه الصورة فيها دعوة واضحة إلى أطفالنا اليوم إلى حب الموت في سبيل الله، ففي غزوة بدر خرج غلام صغير في

---

(١) أبو الحسن الندوي، قصص من التاريخ الإسلامي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٢، ص٢٩ -٣٠، نقلاً عن النوادر السلطانية، ص٢٥١.

السادسة عشرة من عمره اسمه عمير بن أبي وقاص، أخو الصحابي الجليل سعد، وتوارى عن أنظار الرسول ﷺ، خوفاً من أن يراه فيرده، فلما رآه رسول الله ﷺ أراد أن يردّه لأنه لم يبلغ مبلغ الرجال، فبكى عمير، ورق له قلب الرسول صلى الله عليه وسلم، فأجازه، واستشهد في هذه الغزوة [١].

ب - مسابقة بين أتراب في غزوة أُحُد: «وعرض على رسول الله سمرة بن جندب، وهو في سن رافع بن خديج ورده رسول الله ﷺ، فقال سمرة: لقد أجزت رافعاً ورددتني، ولو صارعته لصرعته، ووقعت المصارعة بينهما، فصرع سمرة رافعاً فأجيز، وخرج وقاتل يوم أُحُد» [٢].

جـ- فداء علي بن أبي طالب للرسول ﷺ، عندما نام في فراشه ليلة هجرته ﷺ. فكان عليّ أول فدائي في الإسلام: «وأخبر الله رسوله ﷺ بهذه المؤامرة فأمر علي بن أبي طالب أن ينام على فراشه متسجياً ببردته» [٣].

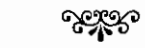

(١) انظر: أبو الحسن الندوي، سيرة خاتم النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١٨، ١٩٩٣، ص١٣٨-١٣٩.
(٢) المرجع السابق، ص ١٥٧.
(٣) المرجع السابق ص١٠٩-١١٠.

obeikandl.com

الفصل الرابع

الجانب الفكري والنفسي

أولاً: التكوين الفكري للطفل المسلم: يُدَرّس من خلال الأهداف التالية:

١- **البناء الفكري لعقل الطفل المسلم:** يجعل أبو الحسن الندوي جلّ اهتمامه في وضع الأسس الفكرية للبناء الفكري لعقل الطفل المسلم، وذلك من خلال الأساليب الفكرية التالية:

أ- **إثراء عقل الطفل المسلم بالمبادئ والمفاهيم والرموز الإسلامية** وما شابهها، ويظهر هذا من خلال قدرة أبي الحسن الفائقة في اختيار العناوين، فمن أهم عناصر بناء القصة عند المؤلف استخدام عناوين مناسبة، تشد انتباه القارئ فالعنوان عامل جذب للقارئ، فمتى يُكتبِ النجاح للقصة يكنّ اختيار العناوين أحد أهم عناصر نجاحها، لا سيما وأن اختيار العنوان يربط في ذهن القارئ مفهوماً، أو فكرة أو رمزاً عظيماً، فالعنوان هو المفتاح الذي يدل على ماهية القصة، وأبو الحسن الندوي بارع في استخدام العناوين بما يناسب ذلك الحدث، فيغرس فيه مبدأ إسلامياً أو رمزاً أو فكرة إسلامية أو خُلُقاً إسلامياً. والأدلة والآثار كثيرة في كتب الأطفال لأبي الحسن تشهد له بذلك. نحاول أن نستعرض ذلك لنبيّن حسن اختياره للعناوين.

- العناوين التي تغرس أخلاقاً إسلامية في عقل الطفل، نذكر منها: «نصيحة إبراهيم» [١] و«صبر أيوب» [٢].

---

(١) أبو الحسن الندوي، قصص النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١٨، ١٩٩٣، ص١١.
(٢) المرجع السابق. ص٣٢٤.

- والعناوين التي تغرس رموزاً لشخصيات إسلامية، منها: «نوح الرسول»[١]، و«صالح عليه الصلاة والسلام»[٢]، و«إسلام علي بن أبي طالب وزيد بن حارثة»[٣].
- والعناوين التي تغرس رموزاً لأماكن إسلامية مقدسة في عقل الطفل، منها: «الكعبة»[٤] و «بيت المقدس»[٥].
- والعناوين التي تغرس رموزاً لمعارك وغزوات إسلامية، نذكر منها: «معركة بدر الحاسمة»[٦] و «غزوة خيبر»[٧].
- والعناوين التي تغرس معجزات سماوية للرسل الكرام في عقل الطفل، منها: «ناقة الله»[٨]، و «يونس في بطن الحوت»[٩].
- والعناوين التي تبيّن للطفل كتباً سماوية مثل «التوراة»[١٠].
- والعناوين التي تذكر أسماءً للحيوانات، لتكون موسوعة علمية في عقل الطفل: مثل «البقرة»[١١] و«العجل»[١٢].
- والعناوين التي تغرس في عقل الطفل سنة كونية وضعها الله في الأرض، منها: «قصة صراع بين الحق والباطل»[١٣].

(١) نفس المرجع، ص٨٢.
(٢) المرجع السابق، ص١١٩.
(٣) أبو الحسن الندوي، سيرة خاتم النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١٣، ١٩٩٣، ص٤٩.
(٤) أبو الحسن الندوي، قصص النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١٨، ١٩٩٣، ص٢٦.
(٥) المرجع السابق، ص٢٨.
(٦) أبو الحسن الندوي، سيرة خاتم النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١٣، ١٩٩٣، ص١٣٤.
(٧) المرجع السابق، ص٢٢٣.
(٨) أبو الحسن الندوي، قصص النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١٨، ١٩٩٣، ص١٢٧.
(٩) المرجع السابق، ص ٣٢٨.
(١٠) المرجع السابق. ص٢٥٩.
(١١) المرجع السابق. ص ٢٥٠.
(١٢) المرجع السابق. ص٢٦٣.
(١٣) المرجع السابق. ص٢٨٨.

● والعناوين التي تمثل حدثاً تاريخياً مهماً مثل: «الإسراء والمعراج»[١] «المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار»[٢].

ب - صقل هوية الطفل المسلم وبناء شخصيته: ويظهر هذا من خلال النماذج البشرية التي قدمه النا القرآن الكريم والتاريخ الإسلامي، فالأنبياء عليهم السلام والصحابة الكرام هم قدوة لأطفالنا المسلمين، يتأسون بأفعالهم وأقوالهم، ويترسمون عبق مسيرتهم الخالدة. ويسيرون معهم في قافلة الدعوة والتوحيد ليكملوا مسيرتهم العظيمة. فآدم ونوح ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وصلاح الدين الأيوبي رحمه الله، كل أولئك الصفوة المؤمنون هم شخصيات بشرية، الواحد منهم له القدرة الكافية على تكوين الشخصية المسلمة عند طفلنا المسلم.

كما أن دعوة التوحيد التي أعلنوها عالياً إلى جانب هذا التاريخ العريق الحافل بالأمجاد كفيلان بأن يصنعا هوية لطفلنا المسلم.

٢- المناعة الفكرية من الارتكاس في حمأة الأفكار الغربية المستودرة، والتي تستهدف تاريخنا الإسلامي: فالفكر الإسلامي الذي يبني عقل طفلنا المسلم يكوّن مناعة فكرية حصينة لهذا العقل من الانزلاق إلى مستنقع الأفكار المسمومة، والتي دخلت جسم تاريخنا وعقيدتنا بصورة غريبة مزورة زائفة، لذا فإن الفكر الإسلامي الذي يُبنى من خلال العرض الرائع لتاريخ التوحيد منذ آدم حتى وقتنا الحاضر يُشبع الفطرة الإنسانية للطفل المسلم، وأسلوب أبي الحسن في سرد أحداث التاريخ الإسلامي منذ آدم عليه السلام حتى الآن، وما يتضمنه هذا السّردُ من التسلسل الزمني للأحداث التاريخية. هذا الأسلوب الرائع يكوّن مناعة فكرية لدى الطفل، تمنع من تشرد الأفكار من

(١) أبو الحسن الندوي، سيرة خاتم النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١٢، ١٩٩٣، ص ٩٨ .
(٢) المرجع السابق، ١٢٥.

ذهنه، وتمنع من تمردها على النهج السوي، نهج التوحيد والنبع الصافي، خاصة أن أبا الحسن يبعد كل البعد في كتاباته عن كل الشبهات التي يحاول إثارتها المستشرقون ودعاة الاستشراق.

٣- تناول بعض القضايا الإسلامية المعاصر: يتناول أبو الحسن قضايا معاصرة من تاريخنا الحديث، يغذي كيان الطفل بالغيرة على دينه الحنيف، ويغرس في قلبه وعقله عداوة للاستعمار والمستعمرين، فيبين له من هو عدوه الدائم على مر السنين، وهذا واضح في قصص أبي الحسن عندما يتحدث عن الاستعمار الإنجليزي في قصة «رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه» يبين فيها غطرسة الاستعمار وظلمه، وحب الصادقين المؤمنين للشهادة وقد حُكم عليهم بالإعدام»[1].

٤- المقارنة بين النّظم الجاهلية والنظام الإسلامي: فالنُّظُم الجاهلية نظم وضعية وضعها العقل البشري القاصر المحدود، والنظام الإسلامي أنزله الله وشرّعه للناس هدى ورحمة، وهو نظام لا يعيبه نقص أو خلل أو مرض، فهو مطلق في كماله ودوامه ونجاحه، ويبيّن أبو الحسن هذا المعنى عندما يتحدث عن التتار المتوحشين قبل إسلامهم، وعن التتار المسلمين بعد اعتناقهم الإسلام.

وبيّن ذلك في قصته «جواب كان السبب في إسلام مئات ألوف الناس» من كتاب «قصص من التاريخ الإسلامي». كذلك بيّن هذا المعنى في موضع آخر من كتابه «سيرة خاتم النبيين» و«قبل البعثة» و«بعد البعثة» بيّن فيه ما يكون عليه النظام الجاهلي من فساد وظلم وانحراف عن الحق، وما يكون عليه النظام الإسلامي من إحقاق للحق، وإرساء لقواعد العدالة، وسيرة الرسول خير شاهد على ذلك.

---

(١) انظر: أبو الحسن الندوي، قصص من التاريخ الإسلامي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، ص١٣١-ص١٤١.

ثانياً: التكوين النفسي للطفل المسلم: ندرسه من خلال الأهداف التالية التي أكد عليها أبو الحسن الندوي:

١- **السمو الروحي للنفس الإنسانية للطفل المسلم:** تسمو روح الإنسان على قدر استخفافها بالدنيا وما عرض لها من زينة، فكلما كان الزهد في متاع الدنيا أكثر ارتفعت الروح وسمت إلى الأعلى، وانتصار الروح على شهوات الجسد لا يتم إلا بتعلقها في بارئها وزهدها في الدنيا، وهذا لا يتم إلا بالممارسة الفعلية لأعمال الخير والفضيلة، ومن أعظم هذه الأعمال وأكرمها حب الشهادة التي تسمو فيه الروح إلى أعلى الدرجات، لأنه سيعتبر أن الموت قريب، يعني أنه انتقال من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة، ولقد درّب الصحابة أبناءهم على حب الموت في سبيل الله، وربوهم على أن من يُقتل في سبيله سيكون في أقرب منزلة إليه، يتنعم في نعيمه، ويخلد في جنة خلده، ولقد أكّد الندوي هذا الهدف في حديثه عن جهاد الصحابة. والأمثلة كثيرة ذُكرت سابقاً في الحديث عن تنمية الروح الجهادية كهدف من أهداف التربية الإسلامية.

٢- **غرس الثقة في نفس الطفل المسلم:** وهذا هدف واضح ينكشف لنا من خلال قراءتنا لتاريخ أبناء الصحابة المجاهدين في سبيل الله، الذين تربّوا على سماع صلصلة السيوف وصهيل الخيول وبريق الأسنة، وشبوا على سل السيوف ورمي الرماح، وكبّروا في بطن الصحراء يعلنون راية التوحيد خفاقة، فعاشوا واثقين بأنفسهم، لأن طاقة الإيمان المتفجرة في قلوبهم رصيد كبير في حياتهم، فهذا أسامة بن زيد يقود آخر البعوث الإسلامية التي أمر بها الرسول، وتحت إمرته عمر بن الخطاب وكبار الصحابة، هذا الغلام المسلم الأسمر تفوق عبقريته العسكرية المعبأة بطاقة الإيمان الروحية - تفوق عبقرية كبار القادة الفاتحين.

وقد أكدّ على هذا المعنى شيخنا أبو الحسن الندوي قائلاً:» وبعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والدوران من أرض فلسطين» [1].

٣- **الإيمان المطلق بالقضاء والقدر:** هذا الهدف يؤكد عليه أبو الحسن لتنشئة النفس المسلمة للطفل تنشئة إيمانية في ظل التاريخ الإسلامي، فيؤكد للطفل أن كل شيء بقضاء من الله وقدره، فالموت بقضاء الله وقدره، والرزق بقضاء الله وقدره، وهذا المعنى العظيم يغرسه أبو الحسن في نفس طفلنا المسلم من خلال قصصه، والشواهد على هذا الهدف كثيرة، منها:

السباق إلى الشهادة بين أبناء الصحابة، وهذا ما نراه واضحاً في تنافس عمير بن أبي وقاص في الجهاد والشهادة، كما نراه في مسابقة الإخوة الأشقاء في قتل عدو الله أبي جهل، وكل حركة أو سكون يجب أن نعلّم طفلنا المسلم أن يربطهما بالقضاء والقدر، هذا المعنى يكوّن عند الطفل خُلُقاً عظيماً، ألا وهو خُلُق الإقدام والشجاعة والتوكل على الله.

(١) أبو الحسن الندوي، سيرة خاتم النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٩٩٣، ص٣٢٧.

الفصل الخامس

الثقافة الإسلامية

قام شيخنا أبو الحسن الندوي بترسيخ بعض خصائص الثقافة الإسلامية في عقل طفلنا المسلم، وذلك كالتالي:

١- **الوعي الإسلامي:** هذا الوعي يمنع التبعية الثقافية للثقافة الغربية، فالثقافة التي يعرضها أبو الحسن للأطفال هي ثقافة إسلامية بعيدة كل البعد عن شبهات المستشرقين، فيركز على التاريخ الإسلامي، لأنه ثقافة واعية تفتح عيون الطفل وعقله على واقعنا المعاصر، كما أن تاريخنا الإسلامي الذي ركّز عليه أبو الحسن يضع الطفل على أول درجات الفهم للحياة، وما تدور عليه من صراع بين الحق وأنصاره وبين الباطل وأعوانه، فالتاريخ جذر لعلم السياسة، وهو تغذية جيدة ورضاعةٌ كاملة لطفلنا المسلم تحتوي على كافة العناصر اللازمة لبناء الشخصية الإسلامية المثقفة، لأن قرآننا الكريم وسنّتنا الطاهرة مصدر غني لتاريخنا الإسلامي ومناخه الذي يعطيه الحرارة، والدفء والاتزان.

٢- **النظرة الشمولية والتفسير الإسلامي للتاريخ:** البعد الثاقب لأبي الحسن والنظرة البعيدة له، جعلته يكتب في التاريخ الإسلامي لأطفالنا المسلمين، فالتاريخ الإسلامي هو التاريخ الممتد منذ خلق الله آدم عليه السلام وحتى وقتنا الحالي ويستمر إلى يوم القيامة، لأن الإسلام دين الأنبياء كلهم، لأنهم جميعاً جاؤوا بدعوة واحدة هي دعوة التوحيد، دعوة الإسلام والاستسلام والانقياد لله تعالى.

يؤكد الندوي هذه النظرة الشمولية للتاريخ الإسلامي، فيستعرض تاريخ الأنبياء ثم يستعرض بشيء من التفصيل الممتع تاريخ سيرة محمد ﷺ، ثم

يحكي قصصاً مضيئة من تاريخ المسلمين بعد رسول الله ﷺ، هذه القصص تتناثر من هنا وهناك، من زمن إلى زمن آخر، إذن لا بد من القول أن الندوي قد وضع تفسيراً إسلامياً للتاريخ، فتاريخ آدم وموسى، وإبراهيم هو تاريخنا نحن المسلمين.

٣- **ربانية المصدر والغاية:** فالمصدر الرئيسي للثقافة الإسلامية هو القرآن الكريم، وهذا واضح من خلال استشهاد الندوي بالآيات الكريمة بشكل واسع وعريض، كما أن غاية الثقافة الإسلامية هو حب الله تعالى ورضوانه، وتعميق معنى العبودية في العقول والقلوب المسلمة، فالثقافة الإسلامية ربانية لا يعتريها النقص والعيب. بعكس الثقافة الغربية التي تتخللها الأمراض والعيوب كنتيجة حتمية، لأنها من وضع العقل البشري.

٤- **الإنسانية:** وقد أكدّ أبو الحسن الندوي هذه الخاصية، فحتى تكون الثقافة إنسانية يجب أن تكون الثقافة شاملة كاملة للحياة. وهذه الميزة لا نجدها إلا في ثقافتنا الإسلامية، نعم لقد صنع الإسلام الإنسان ولم يصنعه أي نظام آخر وأي قوة على الأرض، لأن الإسلام لا يصطدم أبداً مع الفطرة، إذ يلبي رغباتها وحاجاتها، وهذا ما أكدّه أبو الحسن في معرض حديثه عن التتار قبل الإسلام وبعد الإسلام، في قصته «جواب كان السبب في إسلام مئات الألوف من الناس» [1].

٥- **الإيجابية:** وبين كيف تكون علاقة الإنسان بإله كالطبيعة الصمّاء، فهو حتماً لا يكون فاعلاً فيها ما دام يعتقد أنها إلهه. وبيّن كيف تكون علاقته بإلهين متخاصمين؟ لا شك أنها علاقة ساخرة، فجاء الإسلام وأخرجه من هذا الظلام الدامس إلى النور والإيمان بالله الواحد الذي أكرمه وسخر له

(١) انظر: أبو الحسن الندوي، قصص من التاريخ الإسلامي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، ص١١٤- ص١٢٣.

الكون وخلق له الحياة، وهذا ما عرضه أبو الحسن حينما تحدث عن دعوة يوسف للسجناء معه قائلاً: «تقولون: ربٌّ البر، وربٌّ البحر، وربٌّ الرزق، وربٌّ المطر، ونحن نقول: الله رب العالمين ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (١).

٦- **الثبات:** قرر أبو الحسن أن هناك حقائق ثابتة لا تتغير يجب أن يتبناها فكر الطفل المسلم، وهي حقيقة العبودية لله وحده ثابتة لا تتغير، وحقيقة أن الناس من أصل واحد متفاضلون بالتقوى، وحقيقة أن الدنيا دار امتحان، كلها حقائق ثابتة لا تتغير، فهذه الثوابت تكوّن العقل المسلم للطفل، ومع ذلك فهي روافد فكرية تغذي ثقافته الإسلامية، وأساسيات لتحديث العقل المسلم للطفل في كل زمان وفي كل مكان، تمنعه من الانحراف عن المسار الصحيح للإسلام.

ويؤكد الندوي الثبات كميزة أساسية لثقافة الطفل المسلم، فالإسلام دين توحيد ووحدة، «وفتح رسول الله ﷺ، باب الكعبة... فأخذ بعضادتي الباب وهم تحته، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده... يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب» (٢).

(١) أبو الحسن الندوي، قصص النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة عشرة، ١٩٩٣م، ص٤٦.

(٢) أبو الحسن الندوي، خاتم النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٩٩٣، ص٢٧٤-٢٧٥.

الفصل السادس

الاتجاه الإسلامي

هذا مما لا شكَّ فيه، ولا يجادل فيه اثنان، فأبو الحسن الندوي كرئيس لرابطة الأدب الإسلامي العالمية يعالج أدب الأطفال معالجة إسلامية، والشواهد التي تشهد باتجاهه الإسلامي الصحيح كثيرة وتظهر من خلال النوافذ التالية:

١- **العاطفة الإسلامية:** وهذه جيّاشة مليئة بالحرص والحب والعمل لأجل خدمة ديننا الإسلامي الحنيف، ومما يدل على ذلك النضج العاطفي للفكرة والجملة.

٢- **الحبّ العظيم للرسول محمد ﷺ:** وهذا الحب يؤكد العاطفة الإسلامية ويدعم اتجاهه الإسلامي، فيتحدث أبو الحسن عن عميد آل البيت سيد ولد عدنان محمد ﷺ، يتحدث عن صفات طفولته وسمات شبابه، كما يتحدث عن نسبه وولادته ونشأته، وفي الخاتمة يذكر الأخلاق والشمائل المحمدية.

«وقد كسا الله نبيّه لباس الجمال، وألقى عليه محبة ومهابة منه» [١] ولقد قصر أبو الحسن هواه على حبِّ سيدنا محمد ﷺ وبيان مآثره، لا سيما أن شيخنا الداعي أبا الحسن ينتسب إلى الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما.

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٥٤.

٣- **الطفولة الإسلامية:** وقد تربى أبو الحسن في أسرة محافظة على التعاليم والأخلاق والآداب الإسلامية، علماً بأن والدته كانت تساعده في حفظ القرآن الكريم، كما أنه تعلم اللغة العربية على يد الشيخ خليل اليمني [١].

٤- **التلمذة الإسلامية:** اهتم أبو الحسن بدراسة كتب اللغة والحديث والتفسير والتربية الروحية، وتتلمذ على يد شيوخ أجلاء استفاد منهم كثيراً[٢].

٥- **رحلاته:** رحل أبو الحسن إلى أماكن كثيرة وزار مناطق مختلفة أمدته بتجارب وخبرات استفاد منها ووظّف بعضها في أدبه [٣].

٦- **نشاطاته الإسلامية في مجال العلم والدعوة:** عيّن مدرساً في دار العلوم، وألفّ كتاب «سيرة أحمد الشهيد» ورأس تحرير مجلة «الندوة» كما رأس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وأسس جمعية للتبشير بالإسلام بين الهندوس، وإلى جانب ذلك كثير من النشاطات العظيمة التي قام بها الداعية أبو الحسن [٤].

٧- **ومن صفاته الحميدة** أنه يكره التصوير، ويتأسى بسيرة أحمد بن حنبل وابن تيمية وغيرهم من العلماء رحمهم الله تعالى [٥].

(١) انظر: أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة السادسة، ١٩٦٥، ص١٨-١٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٩-٢٠.

(٣) المرجع السابق، ص١٩-٢٢.

(٤) المرجع السابق، ١٩-٢٢.

(٥) المرجع السابق، ص٢١-٢٢.

obeikandl.com

خاتمة

الكتاب جليس الطفل وصديقه، يغذي عقله، وينمي مداركه، ويصقل موهبته، ولقد كانت كتب الأطفال عند أبي الحسن الندوي ميراثاً أدبياً لطفلنا المسلم، وصحوة إسلامية تجدد فيه روحه وضميره وتشحذ طاقاته، وهممه، ومدرسة تاريخية تعلو بها عزيمته وتتسامى فيها أمنياته وطموحاته ورصيداً فكرياً أثرى ذاكرته، وكوّن عنده ملامح كاملة لصورة طفلنا المسلم، فالطفل المسلم هو الاستثمار الرابح الوحيد، في حين أن جميع الاستثمارات قابلة للربح أو الخسارة، فالعالم قد خسر حقاً بانحطاط المسلمين، خسر هذه الطاقة العظيمة من أطفالنا المسلمين والثروة الروحية في داخلهم.

. . . وإن تذوق أطفالنا لأدب الطفل وإحساسهم به هو الغاية السامية لهذا الأدب، لأنه ليس مقبولاً أن نكتب أي أدب للأطفال، بل من الضروري أن نعطي هذا الأدب قيمته الروحية، فيحس الطفل بأن الكلمات أحياءٌ تتحرك على الأرض فيعيش معها.

. . . وأدب الأطفال عند أبي الحسن الندوي هو أدب إسلامي بعكس الكثير من الذين ألفوا في هذا الأدب، لأنه يتبنى الهمّ الإسلاميّ، ويتكلم بحرارة العاطفة، ويكتب تاريخ الإسلام بأسلوب التربية والدعوة الصادقة، وقد شهد لهذا الأستاذ الشهيد سيد قطب رحمه الله: «ولقد قرأت الكثير من كتب الأطفال بما في ذلك قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وشاركت في تأليف مجموعة القصص الديني للأطفال» في مصر مأخوذاً كذلك من القرآن الكريم، ولكني أشهد في غير مجاملة، أن عمل السيد أبي الحسن في هذه القصة التي هي بين يدي، جاء أكمل من هذا كله، وذلك بما احتوى من توجيهات دقيقة، وإيضاحات كاشفة لمرامي القصة وحوادثها، ومواقفها، ومن تعليقات داخلة في ثنايا القصة، وكلها توحي بحقائق إيمانية ذات خطر حين

تستقر في قلوب الصغار أو الكبار، جزى الله السيد أبا الحسن خيراً وزاده توفيقاً» [١].

. . . ومن خلال اطلاع الباحث على أدب الأطفال، وجد قلة اهتمام الأدباء بأدب الأطفال، كما يلاحظ أن من ألفوا في هذا الأدب أنه لا يخدم الطفل ولا يعالج جوانب شخصيته، ولا يقدم الثقافة الإسلامية الواعية لطفلنا المسلم، ومن هنا جاء ما كتبه الندوي في أدب الأطفال ليسد ثغرة كبيرة في أدب أطفالنا المسلمين، والذي جاء جهده ثمرة ناضجة لحصيلة أعوامٍ كثيرة قضاها الندوي في خدمة أبنائنا المسلمين.

. . . ويا حبذا لو وجدت مجلة أطفال دورية تهتم بالطفل، وتخدم شخصيته، وتقدم له ثقافة إسلامية واعية.

. . وأخيراً لقد حاول الباحث أن يلقي الضوء على فكر أبي الحسن في أدب الطفل، ويعرف بشخصية أبي الحسن الندوي كمربٍّ وداعية إسلامي.

جزى الله أبا الحسن خير الجزاء، ونفعنا والمسلمين بعلمه وفكره وحكمته الرشيدة.

(١) أبو الحسن الندوي، سيرة خاتم النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة عشرة، ١٩٩٣، ص٤.

obeikandl.com

مصادر البحث ومراجعه

١- القرآن الكريم.

٢- أبو الحسن الندوي، قصص النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة عشرة، ١٩٩٣.

٣- أبو الحسن الندوي، سيرة خاتم النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٩٩٣.

٤- أبو الحسن الندوي، قصص من التاريخ الإسلامي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.

٥- أبو الحسن الندوي، روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة، الكويت، دار القلم، الطبعة الثانية، ١٩٨١.

٦- أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة السادسة، ١٩٦٥.

obeikandl.com

محتويات البحث

١- مقدمة. ٥٥٥
٢- الفصل الأول: اللغة. ٥٥٧
٣- الفصل الثاني: الدعوة. ٥٦٠
٤- الفصل الثالث: التربية الإسلامية. ٥٦٩
٥- الفصل الرابع: الجانب الفكري والنفسي. ٥٧٦
٦- الفصل الخامس: الثقافة الإسلامية. ٥٨٢
٧- الفصل السادس: الاتجاه الإسلامي. ٥٨٥
٨- خاتمة. ٥٨٧
٩- مصادر البحث ومراجعه. ٥٨٩

obeikandi.com